شبهات مشروعة بشهادة المؤرخين الأوائل

لقد ذكرت في مقال سابق بعنوان »أهل السنة والجماعة بايعوا عليا حتى خرج عليه معاوية وقاتله .. فبايعوه« !: »إن ما أنقله من أحداث تاريخية لا يعني قبولي أو رفضي لها، فالتاريخ عندي تراث بشري لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى، وإنما أضعه أمام أنصار »الفُرقة والمذهبية«، ليقفوا على حقيقة تدينهم الوراثي المذهبي، وما حملته مصادرهم الثانية للتشريع من فتن ومصائب، تقتضي أن يخلعوا ثوب هذا التدين المذهبي«.

وقلت: »ولقد حرصت أن أنقل هذه الأحداث من أمهات كتب المؤرخين الأُول، وهم: ابن قتيبة »توفي أواسط القرن الثالث الهجري«، البلازري »ت٢٧٩هـ«، اليعقوبي »ت٢٩٢هـ«، الطبري »ت٣١٠هـ«.

لذلك سأكتفي في مقالي هذا بذكر الأحداث دون الإشارة إلى مرجعيها، وذلك لكثرتها، وثانيا لعلمي أن القارئ الكريم سيسهل عليه التعرف على ما إذا كانت مرجعية الخبر سنية أم شيعية، مع ملاحظة أن الصحيح عند السنة ضعيف عند الشيعة، والعكس صحيح!

هناك إشكالية فرضتها الأسباب التي دعت إلى إحداث الفتن الكبرى، بداية بمقتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان، وتهاون جيشه وكبار الصحابة في فك حصاره الذي دام أربعين ليلة، وانتهى بقتله، وهي:

لقد كان للسيدة عائشة مكانة كبيرة في قلوب الصحابة، وشخصية قوية يُسمع لها ويُستجاب لأمرها، حتى أنها استطاعت أن تجهز جيشا صمد أمام جيش خليفة المسلمين علي بن أبي طالب لمدة عشرة أيام، فلماذا لم تفعل ذلك لفك الحصار عن خليفة المسلمين عثمان بن عفان؟! وأين كانت السيدة عائشة خلال فترة هذا الحصار؟!

لقد علمت السيدة عائشة بمقتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان وهي عائدة من مكة متجهة إلى المدينة، وذلك عندما لقيها عبيد بن أم كلاب فسألته عن أحوال المدينة فأخبرها بمقتل عثمان، فقالت:

»ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالإجماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، واجتمعوا إلى علي بن أبي طالب، فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ويحك انظر ما تقول؟!«.

قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين، فولولت فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين والله لا أعرف بين لابتيها أحدا أولى بها منه، ولا أحق، ولا أرى له نظيرا في جميع حالاته فلماذا تكرهين ولايته؟!

صاحت أم المؤمنين: ردوني ردوني، فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قُتل والله عثمان مظلوما، والله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟! فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت، فلقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر. قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولى الأخير خير من قولى الأول.

لقد عادت أم المؤمنين إلى مكة، واجتمع إليها الناس، وقالت لهم» :يأيها الناس إن عثمان قتل مظلوما والله لأطلبن بدمه«، وفي رواية: »يا معشر قريش إن عثمان قد قتل، قتله علي بن أبي طالب، والله لأنملة، أو قالت لليلة، من عثمان خير من علي الدهر كله.«

وكان **طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام** قد سألا عليا أن يوليهما البصرة والكوفة فرفض، فكان ذلك من أسباب خروجهما عليه، فبايعاه تقية حتى يسمح لهما بالخروج من المدينة، فيتمكنا من السفر إلى مكة واللحاق بأم المؤمنين عائشة!!

لقد نكث طلحة والزبير بيعتيهما لعي بعد أن سمح لهما بالخروج، وأصبحا من كبار قادة جيش السيدة عائشة، ولما علم عليّ بموقفهما قال: إنه قد بايع أبا بكر مرغما، ومع ذلك فقد ألزم نفسه بشروط هذه البيعة، ولم ينكث بيعته أبى بكر ولا عمر ولا عثمان.

والحقيقة أن الخلاف حول مبايعة طلحة والزبير للخليفة علي، وهل كانت طوعا أم كرها، أم طوعا وفي نيتهما الخيانة والغدر، خلاف قد حسمه واقع الصراع الطائفي، وقيادتهما جيش السيدة عائشة في مواجهة جيش خليفة المسلمين علي بن أبي طالب.

لقد استقر الرأي على مسير جيش السيدة عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة لمواجهة جيش علي، وفي الطريق مر الجيش بـ «ماء الحوأب»، وهو مكان للماء قريب من البصرة، فنبحتهم كلابه، فسألت السيدة عائشة عن اسم مكان هذا الماء الذي مروا به، فقيل لها: إنه »ماء الحوأب«، فضربت عضد بعيرها وأناخته وقالت: أرجعوني فقد سمعت رسول الله يقول وعنده نساؤه: «كأني بإحداكن قد نبحتها كلاب الحوأب وإياك أن تكوني أنت يا حميراء».

والسؤال: إذا كانت السيدة عائشة قد سمعت هذا الحديث من رسول الله، فلماذا لم ترجع بعد أن علمت أنها المقصودة به؟! لماذا لم تطع حديث النبي؟! أم أن طاعة النبى ومعصيته لا يملك مفاتيحها إلا أئمة الجرح والتعديل؟!

هل خالفت أم المؤمنين عائشة سنة النبي بعدم التزامها بالتحذير الذي وجهه لها مباشرة» :وإياك أن تكوني أنت يا حميراء«، ومع هذا التحذير استمرت في معركتها مع جيش علي، والتي أسفرت عن سفك دماء آلاف الصحابة؟!

ولكن الغريب أن يخرج علينا من يبرر استمرار السيدة عائشة في مسيرها بدعوى أن فريقا ممن كانوا حولها خدعوها، وقالوا لها إن هذا ليس هو مكان »ماء الحوأب«!!

ولو أنها رجعت لأنقذت الأمة الإسلامية من كل الفتن الكبرى والمصائب التي حلت بها إلى يومنا هذا؟!

أما خليفة المسلمين علي بن أبي طالب فقد خرج لمواجهة جيش السيدة عائشة باعتباره الفئة الباغية الناكثة لبيعته، المخالفة لسنة النبي، ومن هذه السنة التي نسبوها إلى النبي، لإثبات شرعية موقف علي في قتاله جيش السيدة عائشة، أن النبي قال للزبير بن العوام: »ستقاتله وأنت له ظالم«.

وفي رواية أن النبي قال لعلي» :أما إن ابن عمتك هذا سيبغى عليك ويريد قتالك ظالما.« وفي رواية أخرى وجدناهم يقولون، إن علي بن أبي طالب فى أثناء معركة الجمل، سأل الزبير: هل تذكر قول النبي لك »ستقاتله وأنت له ظالم«، فأجاب: اللهم نعم، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا«، الأمر الذي دفع الزبير إلى ترك المعركة!!

إذن، وحسب هذه الرواية، فإن الزبير ترك المعركة طاعة للنبي، بعد أن تذكر حديثه، ولكن الغريب أن يقابله ابنه عبد الله بن الزبير وينعته بالجبن لأنه ترك المعركة، فيغير الزبير رأيه ويعود مرة أخرى إلى المعركة، بعد أن أعتق غلامه كفارة عن قسمه!!

فهل كان الزبير يخدع عليا عندما قال له: »اللهم نعم«، وهو يعلم عدم صحة هذا الحديث المنسوب إلى النبي، لذلك عاد إلى القتال مرة أخرى؟!

إذن فحتى عصر كبار الصحابة، وفي حياة خليفة المسلمين علي بن أبي طالب، وهو إمام الشيعة »ت٤٠هـ«، ثم ما بعد عصر الخلافة الراشدة وإلى عصر التدوين، لم تكن هناك مدونات موثقة من السلطة الحاكمة يمكن عن طريقها معرفة حقيقة المرويات والأحداث التاريخية التي كانت منتشرة على ألسنة الرواة، ومنها كل مرويات الفتن الكبرى!!

لذلك لم يكن غريبا أن يختلف المؤرخون من السنة والشيعة حول ملابسات مقتل الزبير بن العوام، وهو من كبار الصحابة المبشرين بالجنة، ففي الوقت الذي يبرئ فيه الشيعة ساحتهم من مقتله، يرى أهل السنة أن مقتله كان بسبب موقفه من علي، وأن مقتله جريمة ارتكبت في حق الإسلام!!

أما عن ملابسات مقتل طلحة بن عبيد الله في موقعة الجمل ٣٦»هـ«، وهو أيضا من المبشرين بالجنة، فيرى أهل السنة أنه أعلن قبل موته ندمه عن تخاذله وتهاونه في نصرة عثمان، وفريق آخر حمل مروان بن الحكم مسؤولية قتله ثأرا لبني أمية!!

ويرى الشيعة أن هذا الاعتراف يُسقط عن علي تهمة الضلوع في مقتل عثمان، ويجعل خروج السيدة عائشة للمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان في غير محله!!

وأمام كل هذه الإشكاليات التي واجهت أئمة السلف عند تدوين أمهات الكتب، من تفسير وحديث وفقه وتاريخ، والتي تُسقط عدالة كل من كان له دور في أحداث الفتن الكبرى، وذلك بأي صورة من الصور، خرج علينا من أهل السنة من يدّعون أن وراء كل هذه المصائب التي حلت بالمسلمين

شخصية يهودية تدعى »عبد الله بن سبأ« هي التي قامت بدور رئيس في مقتل عثمان، وفي معركة الجمل، وذلك لرفع المسؤولية عن الصحابة حتى لا تسقط عدالتهم!!

فإذا أردنا الوقوف على المصدر الرئيس لهذا الخبر، وجدناه »سيف بن عمر«، وهو عند علماء الجرح والتعديل مطعون في ضبطه وعدالته!! أما إذا أردنا الوقوف على المؤرخ الرئيسى الذي نقل عنه دور عبد الله بن سبأ في فتنة عثمان والجمل، وجدناه »الطبري«، وهو عند علماء الجرح والتعديل ليس بالثقة!!

والسؤال: هل يستطيع شخص واحد اسمه »عبد الله بن سبأ«، أن يكون وراء كل هذه الفتن، التي استطاعت في فترة زمنية وجيزة أن تغير مجرى التاريخ لصالح أعداء الإسلام، خصوصا إذا علمنا أن المؤرخين يُرجعون عدم إتمام الصلح بين السيدة عائشة وعلي إلى نجاح المؤامرة التي قام بها ابن سبأ، والتي أدت إلى اشتباك الطرفين؟!

لقد حَمَل ما يُسمى بالمصدر الثاني للتشريع إشكاليات لا وزن لها عن التحقيق العلمي، ولا تساوي قيمة المداد التي كتبت به، ولا الصفحات التي دُونت عليها، لذلك أسأل أئمة الخلف:

كيف تجعلون هذا المصدر الثاني للتشريع، الذي حمل أمهات كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ، عند كل الفرق الإسلامية، مصدرا تستقون منه أحكام الحلال والحرام، باعتبارها وحيا إلهيا باسم »السنة النبوية«، وقد آتاه الباطل من بين يديه ومن خلفه؟!

«أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»

محمد السعيد مشتهري

رابط المقال :

http://www.feqhelquran.com/uploaded/20151111372736511.pdf